

إحياء علوم الدين

صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قدم يقدر عليه وقد لا يقدر عليه .

وإنما تنبئ النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده .

وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والداعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال .

فإذا غلت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباущ ولا باущ إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح // حديث ان النكاح سنة رسول الله A تقدم في آداب النكاح // اتباعا لرسول الله A يعظم فضلها لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محسن ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعي في تكثير أمة محمد A ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد فإذا انتهت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباущ الغالب على القلب كان ناويا فإن لم يكن كذلك فما يقدر في نفسه ويردد في قلبه من قصد الولد وسوس وذهيان .

ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرنى نية . ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى فقالت أجدء بالمرأة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرنى في المرأة نية فتوقفت حتى هياها الله تعالى .

ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان أحدهم إذا سئل عملا من أعمال البر يقول إن رزقنى الله تعالى نية فعلت .

وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيبتدئ فقيل له في ذلك

قال .

أفتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرتني نية فعلت .

وحكى أن داود بن المحبير لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جراك ۝ خيرا فقد انتفعت به . وقيل لطاؤس ادع لنا فقال حتى أجد له نية .

وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر مما صحت لي بعد .

وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرف فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتني .

وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لعلهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رباء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انبساط القلب يجري مجرى الفتوح من ۝ تعالى فقد تتيسر في بعض